



Rejectionist comedy/political comedy in Nizar Qabbani's poetry
Under the supervision of: Professor Salem Najm Abdullah. Prepared by the
student: Ali Muhammad Mahmoud
College of Basic Education, Department of Arabic Language

Article Information

Abstract

Article history:

Received:

Reviewer:

Accepted:

Key words :

Correspondence:

Political comedy is concerned with arousing laughter in recipients, as it works to raise negative societal issues within a sarcastic framework aimed at blaming , reproaching, to release anger and discontent of masses through all kinds of humor about what angers them. Thus , person reaches point to reduce discontent factor and minimize it in a way that arouses laughter of masses. . Political comedy is also considered the best tool for soft power to confront attacks and verbal wars, as it destroys the prestige of attacker, so any message he delivers will not be taken seriously because it has been minimized in a comedic way, and limits possibility of recruiting targeted groups, influence morale of attackers, and distract their thinking, so instead of focusing on Systematic attack , focus will be on defence.

الكوميديا الرافضة /الكوميديا السياسية في شعر نزار قباني

بإشراف : أ.م.د. سالم نجم عبدالله اعداد الطالب : علي محمد محمود

كلية التربية الاساسية قسم اللغة العربية

قدم للنشر 2024/4/1، قبل للنشر 2024 /6/9

المخلص

تهدف الكوميديا السياسية الى اثاره الضحك لدى المتلقي اذ تعمل على ابراز قضايا المجتمع السلبية بإطار ساخر هدفه اللوم والعتاب وبالتالي هي تدعو الى تفرغ غضب الجماهير وسخطهم من العامل الذي يغضبهم من خلال الفكاهة بانواعها ، وبالتالي يصل الانسان الى انه يحجم عامل السخط ويصغره بطريقة تثير ضحك الجماهير. كذلك تعتبر الكوميديا السياسية أفضل أداة للقوة الناعمة لمواجهة الهجوم والحروب الكلامية فتصل الى تحطيم هيبة الهجومي وبالتالي أي رسالة يريد توصيلها لن تؤخذ بجدية لأنه قد تم تصغيرها بطريقة كوميديا ، اذ تحد من احتمالية تجنيد الفئات المستهدفة، التأثير في الروح المعنوية للهجوميين وتشتيت تفكيرهم فبدل التركيز على الهجوم الممنهج سيكون التركيز على الدفاع.

المقدمة

الكوميديا السياسية :

تقوم الكوميديا السياسية بتعزيز الوعي السياسي عند الجمهور، وذلك من خلال تلك النصوص الأدبية . والجدير بالذكر أن عملها فني أدبي ولغتها بسيطة ، كما إنها تنجذب إلى شريحة كبيرة من الجماهير ويضاف إلى ذلك أن الواقع السياسي المزدرى من قبل الناس يحتاج إلى القراءة و الاستماع لتفريغ تلك الشحنات و الكوميديا السياسية " تتناول في إطار اجتماعي وإنساني مشكلة سياسية ما ، مركزة على التشابك السياسي والأنساني في قالب من التحليل النقدي غالبا ، على اعتبار أن السياسة تبقى ظاهرة معقدة تحتاج إلى بنية نقدية تكشف آلياتها وتعري أساليب عملها "⁽¹⁾ كما تنطرق إلى القضايا السياسية بطريقة ساخرة وكوميديية ، ويكون هدفها الرئيسي هو إشعار الجمهور بالقضايا السياسية المهمة التي يجب أن يشعر بها ويكون له رأي فيها. كما أن الكوميديا السياسية تتناول أيضاً قضايا الفساد والظلم والعدالة الاجتماعية. ولا يقصد من مفهوم الكوميديا السياسية إثارة الضحك لدى المتلقي فالمسألة تأخذ جانبا معاكسا إذ تعمل على إثارة قضايا المجتمع السلبية بإطار ساخر هدفه اللوم وإيقاظ الشعوب من سباتهاومن قراءتنا للنصوص الشعرية الخاصة بالكوميديا السياسية نجد انها على نمطين مختلفين هما: الرفض

السياسي والتمرد

المفتاح : الرفض السياسي ، التمرد

الرفض السياسي :قال ابن منظور "الرفض تركك الشيء ، تقول رفضني فرفضته ، رفضت الشيء أرفضه وأرفضه رفضاً :تركته و فرقتة"⁽²⁾ فالرفض هو الترك والتفريق ،بينما نجد هذا المصطلح له دلالات ومعانٍ أعمق من الترك والتفريق "مقاومة الإدارة لدافع معين ورفضها التصديق بالأمر والانتقاد له مما يوجب انصاف صاحبة بقوة الإرادة لا يضعفها "⁽³⁾ نفهم من هذا هو ترك الانقياد ورفض التصديق بالأمر.. والحق أن اقتران الشعر بالرفض هي تلك الميزة التي ينفرد بها الشعر عن غيره من الأجناس .. فلم يكن الشعر كذلك شعراً بحق إلا لأنه ثوري بأوسع معاني الكلمة⁽⁴⁾ والمقصود بكلمة (ثوري) هي الحركة أو الأفعال الحيوية . ولا السكون والتوقف.

(1) المسرحية العالمية ، الأرديس نيكول ، تر : نور شريف _مراجعة : حسن محمود _ هلا للنشر والتوزيع ج5، ط1 مصر

، 2000م ، : 18_ 19

(2) لسان العرب ، لابن منظور ج3 ، (مادة رفض) : 154

(3) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب العربي بيروت ، 1978م ج1، : 618

(4) ينظر : الشعر في إطار العصر الثوري ، د. عز الدين اسماعيل ، لبنان _ بيروت . دار الحداثة ، ط1985، م2 : 86

..تعد قصيدة نزارهوامش على دفتر النكسة من أشهر هذه القصائد، يقول في بعض أبياتها:

أنعي لكم يا أصدقائي اللغة القديمة

والكتب القديمة

أنعي لكم

كلامنا المثقوب كالأحذية القديمة

ومفردات العهر و الهجاء و الشتمية

أنعي لكم ... أنعي لكم

نهاية الفكر الذي قاد إلي الهزيمة⁽⁵⁾

ففي هذه الابيات يوجه الشاعر رسالة رفض الى زعماء العرب مفادها لوم وعتاب الى كل العرب و هو عندما يسبه و يشتمه،يشتم فيه كل الواقع العربي المرير اذ يوحي بتلك الرسالة الى العرب الذين يمجدون ذلك الزعيم وهو بذلك يوجه رسالة كوميديا ينقد بها العروبة بشكل كامل كما يقوم بتوبيخ الأنظمة العربية و القمع العربي والسلبية و التواكلية و الانهزامية لا يجد أمامه وسيلة إلا أن يقذف ذلك الزعيم بالفساد في موجة المظاهرة العربية الغاضبة..و بدأ الشاعر قصيدته ب(انعي لكم) فلو رجعنا الى اللغة لوجدنا أن الكلمة مشتقة من " نَعَى يُنَعَى نُعْيًا. وجاء نَعِيُّهُ بوزن فَعِيل. وهو حَبْرُ المَوْتِ"⁽⁶⁾ فمن هذا النطلق اعلن الشاعر موت العروبة وقد استخدم الشاعر صيغة الجمع(لكم) فهي دلالة واضحة الى ذلك السلاطين والعرب بشكل عام كما قال (اللغة القديمة) و(الكتب القديمة) .اذ نلاحظ انه يشير الى أن اللغة القديمة والكتب كلها ماتت بفعكم .فأنكم في هذا الزمان قد نسيتم تاريخ اجدادكم و تراثكم الثقافي و يكرر الشاعر(انعي لكم) وهذا التكرار يتصاعد من بيت الى آخر ،اذ جاءت تلك الصيغة بفعل مع لفظة واستخدام (لكم) يكشف لنا حالة الشاعر ومدى تأثره بذلك الموقف و كأنه يحاول أن يوصف لنا نفسه الغربية وسط شعوب لا تعرف الا الهجاء والشتيمة لهذا الحاكم أوذلك السلطان دون تغيير في الواقع وهذا التكرار يفيد التوكيد

كما يخاطب نزار في قصيدة في القصيدة نفسها (هوامش على دفتر النكسة)

لو كنت أستطيع أن أقابل السلطان

قلت له: يا سيدي السلطان

كلابك المفترسات مزقت ردائي

(5) الاعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني ، بيروت ،لبنان ، 1999م، ط2: 471

(6) لسان العرب ، لابن منظور ج2/256

ومخبروك دائماً ورائي..

عيونهم ورائي..

أنوفهم ورائي..

أقدامهم ورائي..

كالقدر المحتوم، كالقضاء. (7).

نلاحظ في هذه الأبيات أن نزارا يوجه خطابا كوميديا رافضا الى السلطان يطلب منه المقابلة ليشرح له تلك الحالة المأساوية التي يعيشها حيث يستخدم الأداة " (لو) ولو " يمتنع بها الشيء لإمتناع غيره" (8) ويعنى أن ذلك اللقاء مستحيلا ثم يحاول نزار أن يجعل هذا اللقاء على شكل ماحورة اي مايسمى اسلوب الحوار والحوار "عرض درامي الطبع للتبادل الشفاهي، يتضمن شخصيتين أو أكثر" (9) اذ يختلف الحوار في الشعر بطبيعته عن الحوار في المسرح أو القصة لكنه لا يبتعد عنهما من حيث الاضافة الوظيفة اي أنه يؤدي الوظيفة نفسها ثم يبدأ لي طرح للسلطان مايعاني منه اذ يستخدم الشاعر الحوار ليتناول موضوعات شتى للوصول الى هدف معين و هدفه هنا هو أن يوضح للسلطان المعاملة السيئة من جنده و جواسيسه لدرجة انهم لا يتكلمون اينما يذهب ثم نجد أن الشاعر استخدم المجاز المرسل في هذه المقاطع (مخبروك دائما ورا ئي ، عيونهم ورائي ، أنوفهم ورائي ، أقدامهم ورائي) ان (المجاز المرسل) هو الكلام المستعمل في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة غير المشابهة: مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي (10) اذ ذكر الجزء وأراد الكل و الفائدة من المجاز المرسل هنا اظهار الضعفه وسط جواسيس السلطان والحق أن موضع النداء في قوله

لو كنت أستطيع أن أقابل السلطان

قلت له: يا سيدي السلطان

والغرض من النداء هنا خروج الكلام الى التمني هو امر مستحيل الحصول

في ذلك اللقاء

كما نجد أن الشاعر يعطينا لغة كوميدية في ابيات من قصيدة "يوميات كلب مثقف "

(7) المجموعة السياسية الكاملة، منشورات نزارقياني،: 471

(8) : حروف المعاني والصفات ، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ) اتحقق:

علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة - بيروت

ط1، ١٩٨٤م: 7

(9) قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام : 45

(10) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق

وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت: ٨ ذو الحجة ١٤٣١: 268

مولاي

لا أريدُ منك يا قوتاً.. ولا ذهباً

ولا أريدُ منك أن تُلبسني

الديباجَ والقَصَب

كلُّ الذي أرجوه أن تسمّني

لأنني أنقلُ في قصائدي إليك

جميعَ أصواتِ العرب

.....

فقلْ لسيّافك أن يمنّني

حريةَ النِّباج⁽¹¹⁾

تحمل القصيدة مفارقة كوميدية رافضة يخاطب بها السلطان فيقول انت تظن أن المثقف هو كلب ولكن هذا الكلب يحمل ثقافة تصدح حيث جاءت عتبة العنوان التي هي "مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن ترسم على نص ما من أجل تعيينه ومن أجل أن تشير الى المحتوى العام وايضا من اجل جذب القارئ"⁽¹²⁾ جاء العنوان بنكرة مخصصة والغرض من هذا هو تخصيص لفظة الكلب المستخدمة في غير مواضع للدلالة على الكلب المجازي بالثقافة من باب الملازمة كما نلاحظ علاقة واضحة بين العنوان والقصيدة اذ يدعو الشاعر الى انه لا يريد يا قوتاً ولا ذهباً ولا حتى ما لا يريد من السلطان أن يسمع لصوته لان الشاعر هو لسان شعبه يشعر بمعاناته فهو قريب منهم لانه في موقف عدائي للحاكم ثم يختم أبياته بقوله (فقل لسيافك أن يمنّني ، حرية النباح)...

بينما نجد الرفض واضحاً في قصيدة قمعستان وبالألفاظ الغاضبة في وجه الطغيان

من اجل هذا اعلن العصيان

باسم الملايين التي تساق نحو الذبح كالمقطعان

باسم الذين انتزعت اجفانهم

واقتلعت اسنانهم

وذوبوا في حامض الكبريت كالديدان

(11) المجموعة السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني القصائد مغضوب عليها ، نزار قباني: 43
(12) العنوان في النص الابداعي (اهميته وأنواعه) مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية (جامعة محمد خضير /بسكرة /الجزائر): العدد الثاني والثالث (2008)

باسم الذين ما لهم صوت ...

ولا رأي ...

ولا لسان ...

سأعلن العصيان ...

من اجل هذا اعلن العصيان

باسم الجماهير التي تجلس كالأبقار

تحت الشاشة الصغيرة

باسم الجماهير التي يسقونها الولاء

بالملاعق الكبيرة

باسم الجماهير التي تتركب كالبعير

من مشرق الشمس الى مغربها

تركب كالبعير ...

وما لها من الحقوق غير حق الماء والشعير

باسم الجماهير التي تضرع لله لكي يديم القائد العظيم⁽¹³⁾

معاني الرفض بطريقة كوميدية وضحة في هذه الابيات وهو الرفض ليس فقط على الأستبداد السياسي بل هو للدعوة الى التخلص والتحرر من تلك السلطة التي سيسست بعض الشعراء وجعلتهم بوقا للنظام في جعلهم يزينون افعالهم الاجرامية خوفا من السلطة فالشاعر يعلن العصيان من اجل تلك المواقف التي مرت بشعبه نتيجة تلك السلطة التي تمارس القمع كما نجد أن الشاعر استخدم (هذا) في قوله (من أجل هذا اعلن العصيان) وهنا نرى أن الابيات الاتية مبنية كلها على اسم الاشارة فناب اسم الاشارة عنها فمن اجل كلمة (هذا) اعلن الشاعرالعصيان يعني يمكننا ان نقول (من اجل)الملايين التي تساق نحو الذبح كالقطعان،الذين انتزعت اجفانهم ، واقتلعت اسنانهم ، وذوبوا في حامض الكبريت كالديدان ،الذين ما لهم صوت ...ولا رأي ...ولا لسان ...الجماهير التي تجلس كالأبقار ، تحت الشاشة الصغيرة ، الجماهير التي يسقونها الولاء ، بالملاعق الكبيرة ،الجماهير التي تتركب كالبعير من مشرق الشمس الى مغربها...)وقد علل اللغويون هذا الاستخدام . تعين اسم الإشارة طريقا إلى إحضار المشار إليه بعينه في ذهن السامع بأن يكون حاضرا محسوسا تميزه أكمل تمييز لإحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة الحسية، وهذا يتم

(13) المجموعة السياسية الكاملة ،قصاد مغضوب عليها، نزار قباني : 27

بحسب المقام منه التعظيم والتحقير ونلمح في هذه الابيات قصد تحقيره بالقرب،⁽¹⁴⁾ وقد ورد مثله في القرآن قوله تعالى {أَهَذَا الَّذِي يُذَكِّرُ آلِهَتَكُمْ} ⁽¹⁵⁾ يكرر الشاعر اسلوب الحصر(غير) (مالها من الحقوق غير حق الماء والشعير) فالشاعر قصد من ذلك أن الشعب حقوقهم الماء والشعير فقط والماء والشعير كما هو معلوم هي من حقوق البهائم فالسلطان يتعامل مع الناس على انهم بهائم ليس لهم حقوق في الكلام او التعبير عن الحرية أو قول الحق

ثم نجد الاصرار على الرفض من (اعلان العصيان واسقاط الطغاة)

اني الجرح الذي يرفض دوما سلطة السكين

انا كهذا العصر واجه الجنون بالجنون

واكسر الاشياء في طفوله

وفي دمي رائحة الثورة والليمون

انا كما عرفتموني دائما

هويتي أن اكسر القانون⁽¹⁶⁾

(الجنون والثورة ، اكسر القانون) كل هذه الكلمات تدل على شخصية الشاعر التي لا تعرف سوى الرفض لكن ذلك الرفض مشحون بالجراح فمعاناة الشاعر مستمرة رغم كل شي هي لا تعرف الخوف من اي سلطة هويتها كسر القانون فشكلت تلك الالفاظ تحديا رافضا بكل جنون..من خلال قراءتنا لديون الشاعر نرى الشاعر استخدام الليمون مرتين في شعره مرة في هذه الابيات والمرة الاخرى في قصيدة ال يا قدس..

يا مدينتي

يا قدس.. يا حبيبتي

غداً.. غداً.. سيزهر الليمون

وتفرح السنابل الخضراء والزيتون

وتضحك العيون..

وترجع الحمائم المهاجرة..

فالدلتان في كلا القصيدتين يختلفان في المعنى وهذا ناتج عن حال السياق فالاولى تلازمت مع الثورة لتدل على فوران الدم وهيجانه نتيجة الثورة وقد ناسبت مقام القصيدة

(14) ينظر : علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»، أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)

٨ ذو الحجة ١٤٣١، : 115

(15) سورة البقرة الآية: 26

(16) الاعمال الشعرية الكاملة ، منشورات نزار قباني ، بيروت : 749

اما في القصيدة الثانية فتدل على بدأ النماء والحياة والتجدد والدليل)فالشجار هي التي تثمرلا الليمون ، فقد ذكر السبب واراد المسبب والقصيدة هنا في حالة تجدد وحركة

ثانيا : التمرد : التمرد في الشعرله علاقة بالثورة اذ يسعى الى التغيير او عدم الانسجام مع القوانين ، والتمرد يؤمن بالعدالة ويتخذ قضية مصيرية كتمرد المضطهدين بسبب الظلم او تمرد الفقير وبما ان الشعر يواكب الاحداث كانت هذه الظواهر بمثابة الاغراض الشعرية انتكأ عليها شعراء هذا العصر ..ذكر لفظة تمرد في معاجم للغة واخذت معاني العصيان والعتو و عدم الأقبال والطاعة⁽¹⁷⁾ لجأ الشعراء في اقوالهم و رفضهم و ثوراتهم وانتقادهم للمشاهد المتردية الى فعل ثوري اخر موازلثورتهم اي ثورة الكلمات وارغام اللغة على قول مالم تعتد أن تقوله⁽¹⁸⁾ اي هو جانب اخر للثورة وتبني أي قضية معينة .يرى علماء الاجتماع و منهم الدكتور قيس النوري التمرد هو من المشكلات التي تواجه البشرية وهو الشعور الافراد في المجتمعات المختلفة بالعجز عن تحقيق اهدافهم الجوهرية في الحياة والاسباب التي تسبب هذا العجز وان اختلفت اشكالها فانها تؤدي حالة من الاحباط قد يصل الى مستوى القنوط واليأس⁽¹⁹⁾فالتمرد ينشأ لحاجة المجتمعات والأفراد في تلك الظروف التي تحدث داخل المجتمعات . هو كثير في شعر نزار قباني حيث يقول في قيصدته متى يعلنون وفاة العرب

أحاولُ رَسَمَ مدينة

تكون محررة من جميع العقد

فلا يذبجون الانوثة فيها

.. ولا يقمعونَ الجَسَدَ ..ولم اري الا جرائد تخلع

اثوابها الداخلية لأي رئيس

ولم أرى الأقصائد تلحس رجل الخليفة

من اجل حفنة رز وخمسين درهم⁽²⁰⁾

نلاحظ في هذه الابيات ان الشاعر اتى بعبئة العنوان بصيغة الاستفهام (متى يعلنون وفاة العرب) نلمح من ذلك ان الشاعر متيقن ان هناك وفاة ، فالاستفهام هو حسب حالة الشاعر الاخبار عن الوفاة في حين لاتوجد تساؤلات كثيرة في عموم القصيدة ، وقد خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي وهو التقرير والمقصود

(17) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور مادة ، (امر) : 37

(18) ينظر : الشعرية بين فعل القراءة والية التأويل ، (دراسة في التلقي والتأويل الجمالي) ، دار الخليج للنشر والتوزيع ،

(د،ط) ، (د،ت) : 133

(19) الأنتربولوجية النفسية قيس النوري ، بغداد ، (د، ط) 1990م : 438

(20) أسرار القصائد الممنوعة لشاعر الحب الحرة ، نزار قباني ، قصائد خلف الاسوار ، محمد رضوان : 90

من التقرير كأن وفاة العرب سيحدث لا محال كما يدعو بناء مدينة بسيطة بعيدة عن الاشرار تلك المدينة هي مدينة الانسانية والحياة محررة من جميع العقد ليعيش الحياة الحرة الكريمة استخدم الشاعر الكناية في هذه الابيات (فلا يذبجون الأنوثة فيها) كناية عن محي الانوثة بشكل كامل (القوائد تلحس رجل الخليفة) هي كناية عن اذلال الشعراء من المال كما نلاحظ ان الشاعر استخدم الانوثة لانه شاعر المرأة و من ثم ينظر الى المرأة ويقدها بكل مفاتها وجمالها كما يحاول ان يصل بنا الى نتيجة ان اذلال الانثى هي ابشع جرائم الانسانية في المجتمع كما نلاحظ في النص أن الشاعر استخدم كلمة وفاة في عبارة (متى يعلنون وفاة العرب) ولم يستخدم كلمة موت بالرجوع الى اللغة نجد إن الموت يقع مرة واحدة، وهي بخروج الروح دون عودة، أما الوفاة فهي أعم من الموت فهناك الوفاة المؤقتة "الصغرى" والتي هي النوم، فإن نام الإنسان خرجت روحه من جسده إلى أجل مسمى، فإن كتب لها العودة عادت وإلا فارقت جسدها، ورحلت عنه للأبد مصداقاً⁽²¹⁾ لقوله تعالى: ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))⁽²²⁾ فالوفاة هو موت مجازي اي موت للضمير والانسانية والاصرار و يقول نزار قباني في قصيدة "منشورات على جدران اسرائيل"

لن تجعلوا من شعبنا

شعب هنود حمر

فنحن باقون هنا ..

عند قراءتنا لأبيات الاولى من القصيدة نجد فيها الأصرار على التمرد في وجه الاحتلال الإسرائيلي فاستخدم الشاعر في مطلع القصيدة (لن) "لن"، وهي نافية للفعل المستقبل أيضاً وعاملة فيه⁽²³⁾ والنفي ب(لن) نفي قطعي مستحيل الحصول اي لن نكون وفق ماتريدون كما نلاحظ أن الشاعر استخدم (شعب هنود حمر) وهو تشبيه مؤكد فقد حذف اداة التشبيه (الكاف) والتقدير (لن تجعلوا من شعبنا كشعب هنود الحمر) وشعب هنود الحمر هو شعب ذات حضارات عريقة وممالك وامارات منذ الالف السنين وقد ساهم الاوربيون هنودا حمرا لانهم يعيشون في رغد من العيش ويمارسون الانشطة والزراعة والصناعة

(21) تطور مفهوم إعلان الوفاة: نظرة الطب والسند القرآني، د. بشير العطار: 5

(22) سورة الزمر: آية 42

(23) المترجل (في شرح الجمل)، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد ابن الخشاب (٤٩٢ - ٥٦٧ هـ)

تحقيق ودراسة: علي حيدر (أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق) ص 202

ويكتشفون المناجم كما أقام حكام هذه البلاد المعابد والقصور فهم بلاد . وفي كتابه عن الهنود الحمر كما لهم أساطيرهم إعجاب الغزاة بروعة ما شاهدوه لدى الهنود من أفكار وتقنيات وشرائع وعادات وفنون وفلسفه حياة وأساليب بلاغيه وفصاحة لسان. ولكن تاريخ المنتصر وحش لا يسمن ويقوى إلا بلحم الفرائس الأدمية. لقد محا الحسنات وأباد أهلها المحسنين، ولم يترك منهم إلا تلك الصورة الهوليوودية المشوهة لكائنات عراة متوحشين، ينبت في رؤوسهم الريش، ويعوون في البراري كما تعوي الضباع⁽²⁴⁾. فأبيدت تلك الحضارة عن بكرة بيها

ثم يأتي الجواب بقاء استثنائية (فنحن باقون) ولم يقل باقون نحن اذ نلاحظ أن الشاعر جاء بجواب افاد فيه التوكيد على البقاء أي نحن امة باقية ومتمردة ورافضة اصراركم في محينا وهزيمتنا كما جاء الجواب بجملة اسمية والجملة الاسمية هي الجملة التي تفيد الثبات وهي واستخدام اسم الاشارة (هنا) تأكيداً للمكان وهي فلسطين اما في قصيدة تقرير سري جدا من بلاد قمعستان و التي مطلعها

لم يبق فيهم لا أبو بكر.. ولا عثمان..
جميعهم هياكل عظمية في متحف الزمان..
تساقط الفرسان عن سروجهم..
وأعلنت دويلة الخصيان..
واعتقل المؤذنون في بيوتهم..
وألغى الأذان⁽²⁵⁾..

نلاحظ في عتبة العنوان استخدم الشاعر لفظة (قمعستان) فمن قراءتنا لأشعاره وبحثنا عن جذور اللفظة فلم يرد لها اصل عربي، ويتجلى استخدامه للفظه ليدل على الواقع المرير التي يعيشه العالم العربي من الذل والهوان التي يعيشه الانسان العربي والذي يحاول أن يعقد صلحا مع الهوان فكملة قمعستان هي ليست مصطلحا مصريا ولا سوريا او عراقيا بل هي من افكاره وان الناس فيها لا يستطيعون التفريق بين الليل والنهار لأنهم برأيه منقادون بالطاعة العمياء واهم شروط قمعستان هي الغاء غريزة الكلام فيها وقد استخدم الشاعر الفاظا على الوزن نفسه وتدل ايضا على المعنى نفسه مثل (نفطستان ، ذلستان) فكملة قمعستان توحي لنا واقعا العربي الذي تعرض للقمع والتهميش ويتضح هذا المعنى من بداية ابيات القصيدة في هذه

(24) ينظر : الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور - الممارسة - سبل المواجهة) يوسف العاصي إبراهيم

الطويل، دار النشر ، صوت القلم العربي، مصرط3، 2010 م، ج 2 : 14_15

(25) الأعمال الشعرية الكاملة ، نزار قباني 227/2

الأبيات يذكر الشاعر العرب القادة امثال ابو بكر وعثمان (رضي الله عنهما) قد رحلوا عبر الزمان ولم يبق منهم الا هياكل في متحف الزمان في هذا النص رمز تاريخي اسلامي ف شخصية ابي بكر هي شخصية ذلك القائد او السلطان المعروف بعدله وحكمه وعثمان ذلك السلطان المعروف بحيائه واستدعاء الشخصيتين هنا ليس مجرد عرض لا معنى له وانما يأتي به الشاعر لدعم موقفه واثراء تجربته وتعميق احساسه فالوقف هنا موقف سلبي والشاعر قد استعار شخصية اجابية معروفة كان لها اثر تاريخي في نفوس الناس فتلك الشخصيتان قد رحلا وانتهى عصرهما

والجدير بالذكر أن نزار قباني له ميزة خاصة

في كيفية اختيار الالفاظ أي :

"في انقاء ما يشاء من مفردات معجم اللغة ويتلاعب بشفرة اللغة وفقا لحسه اللغوي" (26) فالشاعر يقول صوتا حزينا مهموسا منخفضا يحول الأرتفاع بلا جدوة يخرج ذلك الصوت من تلك الاعماق المليئة بالمأسى و الأحزان اذ"تثير في نفس المتلقي اساسا بالاستمرار ويبوح بدعوة الى الأسى العميق وكأن النص يدور حول نفسه"(27)اذ يبقى الشاعر ويستمر بالنواح الشعري المتمرد على كل تلك الاعراف التي حدثت كما أن وبروزها في القصيدة اعطى اطالة في النص اطالة مع بطئ حزين مرشوشا بلغة كوميدية وقد استخدم الشاعر تساقط في (تساقط الفرسان) وهو على وزن (تفاعل) هو فعل يدل على توالي سقوطه واحدا تلو الاخر وهو صيغة المبالغة لكثرة سقوط الفرسانوفي قصيدة (جريمة شرف أمام المحاكم العربية) يحاول فيها الشاعر وصف الواقع السياسي في البلاد العربية كما جاءت القصيدة بالانفتاح للأستعمار الذي حصل فأستبدل العرب تراثهم بالعادات الغربية التي لا تمد بالعرب اي صلة فلم تبق غير عربية ولا شرف رفيع ثم بدأ نزار يكشف زيف السياسة العربية التي هدفها هو المصالح الشخصية التي في قوله

دخلوا علينا ..

كانَ عنترَةُ يبيغُ حصانَهُ بلفافَتِي تبغِ ،

وقمصانٍ مشجَرَةٍ ،

ومعجونٍ جديدٍ للحلاقةِ ،

كانَ عنترَةُ يبيغُ الجاهليَّةَ ..

.....

(26) منهج النقد الصوري في تحليل الخطاب الشعري ، الأفاق النظرية وواقعية التطبيق ، د. قاسم البرسيم : 45

(27) المصدر نفسه : 169

ما زال يكتبُ شعرهُ العذريّ ، قيسُ
واليهودُ تسرّبوا لفراشِ ليلى العامريّة
حتى كلابِ الحيّ لم تنبُح ..
ولم تُطلقْ على الزاني رصاصهُ بندقيّةهُ
" لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ " 28! (29)

من خلال قراءتنا للنص نجد ان النص يحتوي على رموز فذلك(عنتره)المعروف بفروسيته وحصانه الاصيل قد باع عرويته بأبخس الاثمان .أما (قيس)وهو قيس بن الملوح المجنون بحب ليلى العامرية التي يغار عليها من النسيم اذا هب بجوارها فكتب بها شعلا يفوح رقة عذوبة فأصبح رجلا بلا نخوة ولا غيره اذ يدخل اليهود لفراش ليلى يدنسونه عرضها وقيس قد أبعد نفسه عن كل ما يجري ولم يتوقف عن كتابة الشعر العذري و كأن أمر القضية العربية لا تعنيه شيئا و(ليلى) التي هي رمز للشرف العربي فقد وطنها اليهود حتى الكلاب لم تنبج و اكتفت بالصمت كما نجد أن الشاعر قد ضمن الشطر الأول من قصيدة المتنبّي

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدّم

فخطاب المتنبّي يقال في موقف النخوة والعزة بينما نجد نزارا يستحضره بع أن اظهر صورة عرب هذا الزمان الذي ينتهك عرضهم وتسلب ارضهم ولا يحركون ساكن فقد ضيعوا الغفاف وشيعوا المروءة و مع هذا ينادون ((لا يسلم الشرف الرفيع))ثم يذكر الشاعر(معجون حلاقة ، قمصان مربعات) وهي اشياء لم يعرفها العرب الا من حيث الفكر الغربي اذ نلاحظ ان الشاعر بخاطب الضمير العربي الذي لا يشعر بالمجريات ولا يحرك ساكنا وكان القضية لا تعنيه شيئاكرر الشاعر الضمير المتصل بالافعال الخمسة (يبتاعون ، يصطافون ، يشربون) اذ نلاحظ أن الضمائر اتصلت بالافعال اتصلا مباشرا دون اي فاصل كما انه قصد من هذا التعبير ا فأن الضمير يمرض ولايموت, ومن المستحيل استبداله باخر جديد او علاجه بالحبوب والمضادات الحيوية , فمرض الضمير عادة مايكون مزمنا او متأصلا اليه ,الواقع السياسي رغم كل الهزات الكبيرة التي صدعت جدار الوطن عجزت عن غسل الضمائر القذرة , وظلت اجساد بعض السياسيين تتنفس لكن عقولهم وضمائرهم تتناغم مع انفصام ضمائرهم في خدمة الاجنبي . الضمير هو الحكم في استفتاء الحياة , فكم من السياسيين قد استجاب لحكم الضمير الوطني ؟ وكم منهم

(28)البيت للمتنبّي وفيه تضمين تاممه/لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدّم /ينظر: شرح ديوان المتنبّي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨ هـ)

٨ ذو الحجة 1431، د، ط: 173

(29) الاعمال الشعرية الكاملة ، نزار قباني 22/2

عرف قرار الحكم لكنه نقضه واستبدل ضميره بضمير لاطوني ، بل هو بلا ضمير لأن من باع وطنه
وترك شعبه تحت ظلم بنادق مجاميع الموت سيدفن مع ضميره الميت في مقابر ارض نتنة تبيع وتشتري
عقولا وضمانر مريضة....

و في قصيدة (من يوميات شقة مفروشة)

هذي البلاد شقة مفروشة،

يملكها شخصٌ يسمى عنتره ...

يسكر طوال الليل عند بابها،

ويجمع الإيجار من سكانها..

ويطلب الزواج من نسوانها،

ويطلق النار على الأشجار ...

والأطفال ... والعيون ... والأثداء ...والضفائر المعطره...

هذي البلاد كلها

مزرعة شخصية لعنتره ...

سماؤها..

هواؤها ...

نساؤها ...

حقولها المخضرمه ...

كل البنائيات - هنا -

يسكن فيها عنتره ...

كل الشبابيك

عليها صورة لعنتره ...

كل الميادين هنا،

تحمل اسم عنتره ...

عنتره يقيم في ثيابنا ...

في ربطة الخبز ...

وفي زجاجة الكولا،

وفي أحلامنا المحتضره...

مدينة مهجورة مهجره³⁰ ...

اذ نجد ان الرمز هنا في شخصية يحمل رمز للحاكم المستبد الذي حول البلاده الى تلك الشقة المفروشة اذ يسكر بالليل عند بابها كما انه سيد البلاد يفرض عليهم الاجار ويتحكم في شؤونها وعترة الحاكم المستبد الشخصية السلبية هنا الذي سبب الهزيمة لبلاده عنترة الذي خان بلاده واخذ طريق الملذات كما ان البلاد كلها لعنترة .والقصيدة كلها صفات الحاكم المستبد حيث انه .من أكبر البلايا التي تنبئ بها الشعوب والأمم تسلط الحكام؛ حيث يغدو الحاكم وكأنه من غير جنس الرعية. ويزداد الأمر سوءا حين يعطي الحاكم نفسه بعض خصائص الرب الإله؛ فهو إذا أمر أو نهى، وإذا حاكم أو عاقب، وإذا نفذ أو خطط، فلا يريد أن يكون أحد معقبا لحكمه، ولا مخالفا لرأيه، ولا رادا لأمره نجد تكرار الفعل امضارع في الابيات (يملكها ن بسكر ،يسمى ، يسكن ، يطلب ، يجمع ، يطلق)والفعل المضارع يفيد الاستمرارية والتجدد والدوام والافعال كلها هنا في وصف الحاكم المستبد اي هو مستمر في القيام بكل الافعال السلبية تجاه شعبه ونجد في الابيات بروز المجاز المرسل في قوله (كل البنائات يسكنها عنترة ، كل الشبابيك عليا صورة عنترة ، كل الميادين تحمل عنترة) و الغرض من هذا أن ذلك الحاكم محيط بشقته بكل تفاصيلها وجزئياتها واستخدام معهم اسلوب الشدة حتى اسكن الخوف فيهم فهذه كناية على انه زرع في داخلهم خوف التحدث عنه في بيوتهم كما جعلهم يضعون صورهم على كل الشبابيك انها تلك المدينة التي تركها اصحابها نتيجة الحاكم المستبد المسرف الذي قد عاث في الارض فسادا تجاه شعبه كما نجد رمز الشجرة في قوله(يطلق النار على الأشجار) الاشجار هي رمز للامل والحياة وقد وظف الشاعر هذا الرمز حيسب المقام على ان هذا الحاكم يقتل الحياة بفعله هذا

و يقول الشاعر

يا أصدقائي

أنتم الشعر الحقيقي

ولا يهم أن يضحك أو يعبس

أو أن يغضب السلطان

أنتم سلاطيني

ومنكم أستمد المجد والقوة والسلطان

قصائدي ممنوعة

في المدن التي تنام فوق الملح والحجاره

قصائدي ممنوعة

لأنها تحمل للإنسان عطر الحب والحضاره

قصائدي مرفوضة

لأنها لكل بيت تحمل البشاره

يا أصدقائي

إنني ما زلت بانتظاركم⁽³¹⁾

تبدأ الابيات بالنداء (يا) كما جاء الشاعر بلفظة الأصدقاء للدلالة على القرب و المحبة ليأتي بعدها بجملة اسمية دالة على الثبات (انتم الشعر الحقيقي) فالشاعر يتحدث عن تلك القصائد الممنوعة التي تغضب السلطان لكنه لا يحزن في نفسه لان له اصدقاء حقيقيين يستمد القوة والعزيمة منهم فقصائده تحمل كل معاني الحياة والحب لذلك الوطن فهو لا يسأل عن السلطان أن غضب او لا ما دام له اصدقاء يؤمنون وحشته لكن على ما يبدو ان القصيدة تنتبع من حزن وصوت بعيد فالاصدقاء لم يأتوا لا زال يتأمل أن يأتي اولئك الاصدقاء ويبقى الانتظار بحسرة داخل قلبه والصديق قد يكون ذلك الانسان المنجي الذي ينتظر بارقة الامل فالشاعر هنا عاجز عن تغيير الواقع ويحاول رفضه بكل وسائل والاصدقاء هم السند والعون في وقت الشدة والضيق والسير في طريق موحش يحتاج الى انيس فيبقى الشاعر ينتظر ذلك الامل الذي سيغير الواقع

ويتجسد هذا المفهوم في قصيدة "مقابلة تلفزيونية مع غودو عربي) اذ يوظف الشاعر الشخصية الاسطورية الغربية وهي تلك الشخصية التي تنظر على امل سيأتي شخص يغير الواقع قد يكون شبح او راعي غنم بلحية بيضاء و على الأرجح غير موجود على الإطلاق فهي شخصية خرافية لن تأتي ابدا"³² فيقول في القصيدة
غودو أنا..

ولم أزل أبحث فوق الرمل ، عن بقية اخضرار

ولم أزل أبحث في الركام عن زهرة جنار

ولم أزل أؤمن بالشعر الذي يطع كالوردة

(31) الأعمال الشعرية الكاملة ، نزار قباني 235/2

(32) مجلة المستقبل ، نوافذ (غي انتظار عودة غودو : الوجودية التي ولدت من طعنة سكين) نجم والباب ، العدد 2246_

.....
ما زال (غودو) منذ مليون سنة ..
مرتدياً معطفه ،
وحاملاً أكياسه ،
وقانعاً أن هناك في المدى محطةً
وأن في إمكانه ، لو شاء ،
أن يخترع القطار ...

فغودو لا زال يغامر من اجل الوصل اليها فهو ومازال يعاني ويواجه تلك الصعوبات ويحاول أن يتشبك بالأقدار لعله يصل ويخلصنا مما نحن فيه غودوا لازال يبحث عن الأخضرار فوق الرمال غودو لا زال يتصور ان يجد الزهرة في الركام وأن الشعر يطلع كالورد وسياتي غودو حاملا اكياسه مرتديا معطفه لقد جعل نزار غودو محورا لقصيدته وما غودو الأ رمزا استخدمه ((صامويل بيكيت)) في مسرحيته التي تقدمت لأول مرة على المسرح الفرنسي عام 1953 ليدين به الأنتظار السلبي الذي انتشر في أوروبا بعد الحرب الكونية الثانية حيث انتشر الخوف والتردد وانعدام الثقة بالعالم والحياة وويتلقى المنتظرون في المسرحية كل يوم رسالة جديدة من غودو الموعود المنتظر يتعذر المجيء اليوم ويؤكد أنه سيأتي غدا وكل غد يليه غد آخر ، وهم ينتظرونه ليخرجهم من وهمومهم وليحل مشاكلهم⁽³³⁾ ومن فكرة الجوع والانتظار يبرز موقف الثبات والأمل؛ فتقام مراسم الانتظار أملاً بعودة المخلص، وتبرز فكرة الخلاص والمخلص الذي سيقضي على الجوع). ليقرب المسافة بين الشعب وبين المخلص. فالمدينة امتلأت فقراً وجوعاً، ولن تستعيد شبابها إلا بعودة المخلص الذي لا يأتي؛ و المدينة عنده حزيمة فقيرة لا تُحسن الانتظار لأنها تنتظر من لا يعود. وفكرة الانتظار عند الشاعر فهي تعبر عن الضعف والاستسلام والبلاهة؛ فهو يصف المنتظر بالمسافر الخفي، ويستدعي التاريخ من معارك وشخصيات دلالة على أن المنتظرين يتكئون على الماضي ليخلصهم، ويضفون عليه صبغة إلهية (يؤكدون أنه من أولياء الله) ليبرروا انتظارهم.

النتائج

_الكوميديا السياسية قد تكون معروفة لكنها في معظم المضامين و الافكار التي تطرحها تسعى لتعويض
النظم السياسية المستبدة و تحاول بقدر المستطاع أن تقضح الاساليب القسرية التي تمارسها السلطات
بمختلف انواعها وذلك باستخدام اسلوب الهزلي الممزوج بالالم الكبيرة التي تعاني منها البشرية
_كانت القصيدة في رؤية الشاعر بمثابة السلاح فقد دافع به عن قضايا مجتمعه ووطنه وأمه اذ تعد قنبلة
منفجرة في وجوه اصحاب السلطة والنفوذ في الوطن العربي ، لما تحمله من من اظهار عيوب الحكام و
اخضاعهم للاعداء

قائمة المصادر

- 1 _ أسرار القصائد الممنوعة لشاعر الحب الحرة ، نزار قباني ، قصائد خلف الاسوار ، محمد رضوان ، دار الكتاب العربي _دمشق _القاهرة ، (ط ، ت) ، 2012م
- 2 _ الأنثروبولوجية النفسية ، د. قيس النوري ، بغداد ، (د ، ط) ، رؤية للنشر والتوزيع ، 1990م
- 3 _ تطور مفهوم إعلان الوفاة: نظرة الطب والسند القرآني، د. بشير العطار
- 4 _ حروف المعاني والصفات ، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ)تحقق: علي توفيق الحمد،مؤسسة الرسالة - بيروت ط1 ، 1984م
- _الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجنور - الممارسة - سبل المواجهة)يوسف العاصي إبراهيم الطويل،دار النشر ، صوت القلم العربي، مصر ، ط3، 2010 م
- 5 _ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع،أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)،ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي،المكتبة العصرية، بيروت: ٨ ذو الحجة ١٤٣١
- الشعر في اطار العصر الثوري ، د. عزالدين اسماعيل ، لبنان _بيروت . دار الحدائة، ط2 ، 1985م
- 6_رابطة أدباء الشام <http://www.odabasham.com>
- 7_ الشعرية بين فعل القراءة والية التأويل ، (دراسة في التلقي والتأويل الجمالي)، دار الخليج للنشر والتوزيع ، (د،ط) ، (د،ت)
- 8_ علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»،أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)8 ذو الحجة ١٤٣١،
- 9_العنوان في النص الابداعي (اهميته وأنواعه)مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية (جامعة محمد خضير /بسكرة /الجزائر): العدد الثاني والثالث (2008)

- 10_ قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام : 45 * شرح ديوان المتنبّي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) ٨ ذو الحجة 1431، د، ط
- 11_ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، ط3 - ١٤١٤هـ
- 12_ المرتجل (في شرح الجمل)، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد ابن الخشاب (٤٩٢ - ٥٦٧ هـ) تحقيق، ودراسة: علي حيدر (أمين مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق)
- 13_ المسرحية العالمية ، الأرديس نيكول ، تر : نور شريف _مراجعة : حسن محمود _هلا للنشر والتوزيع ، ط1مصر ، 2000م
- 14_ الاعمال الشعرية الكاملة ، منشورات نزارقياني ، بيروت ، لبنان ، 1999م، ط9
- 15_ المعجم الفلسفي بألفاظ العربية والفرنسية و الانكليزية و اللاتينية ، جميل صليبا ، دار الكتاب العربي . بيروت ، مكتبة المدرسة ، 1978م